

دور التربية الفنية في تنمية مهارات الطفل النفسية والتعليمية

The role of art education in developing the child's psychological and educational skills

بوزيدي الحبيب	بوزيدي محمد
جامعة مستغانم عبد الحميد بن باديس (الجزائر)	جامعة تيارت ابن خلدون (الجزائر)
habib.bouzidi.etu@univ-mosta.dz	mohamed.bouzidi@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/01 تاريخ القبول: 2024/12/09

● الملخص:

إنّ فئة الأطفال تعتبر من أهم الفئات العمرية في المجتمع، فإذا تمّ الاعتناء بهذه البذرة منذ نعومة أظفارها؛ أعطتنا من الثمار والنتائج ما يسعدنا ويكون فيه نفعاً كبيراً للمجتمع في ظلّ ما نراه من تفشي لأوبئة كثيرة وضعف المستوى والانحلال الأخلاقي وما شابه ذلك. وانطلاقاً ممّا سبق ذكره سنسعى في هذا المقال إلى تسليط دائرة الضّوء على مادّة مهمّة من المواد التعليمية والتربوية التي رأينا فيها عدم اهتمام كبير في طرحها ضمن المناهج التربوية الأساسية في المدارس والمؤسسات التعليمية لدى الأطفال؛ وهي مادّة التربية الفنية.

سنحاول هذه الدراسة النظرية في هدفها الأساسي أن تستحضر أشكال التربية الفنيّة وتحليلاتها المختلفة؛ إضافة إلى إبراز عائد النّفع النفسي والتعليمي على هذه الفئة، وذلك باعتمادنا على المنهج الوصفي الجمالي الذي يحاول استحضار أهم الأنواع الأدبية والفنيّة ذات التوجّه التربوي التعليمي ثمّ مقارنتها بقراءة جمالية اعتباراً أنّ منطلقات الفن هي مجال علم الجمال.

الكلمات المفتاحية: تربية فنية؛ تعليم؛ إعداد نفسي؛ أدب أطفال.

abstract

The category of children is considered one of the most important age groups in society, so if this seed is taken care of from an early age; It gave us fruits and results that make us happy and that will be of great benefit to society in light of what we see of the spread of many epidemics, poor level, moral decay, and the like. And based on the aforementioned, we will seek in this article to shed light on an important educational and educational material in which we saw a great lack of interest in introducing it within the basic educational curricula in schools and educational institutions for children; It is an art education subject.

This theoretical study will attempt, in its main objective, to evoke the forms of art education and its various manifestations; In addition to highlighting the return of the psychological and educational benefit to this group, by relying on the aesthetic descriptive approach that tries to evoke the most important literary and artistic genres with an educational and educational orientation, and then approach them with an aesthetic reading, given that the starting points of art are the field of aesthetics.

keywords : arts education, psychological preparation, children's literature.

Keywords: Art Education: education: psychological preparation: Children's literature.

● مقدمة:

يعتبر أدب الطفل وقتّه وجماله وإبداعه ذلك الشكل الفنيّ بمختلف مظاهره وتحليلاته الجمالية التي تعدّدت وتنوّعت بتنوع الفنون والآداب كالمرسح والشعر والغناء والقصة والرسم، ومع علمنا بأنّ غاية الفنون والآداب هي تحقيق المتعة والفرجة ومحاكاة الأحاسيس والمشاعر والتعبير عن الخواطر الذاتية والجماعية ؛ إلا أنّ فئة الأطفال لها تلقّي خاص وهدف معيّن مرجوّ من وراء برمجة هذه الأشكال الفنية كمناهج دراسية وتعليمية تربوية في مختلف الدول العربية، ذلك لما في هذه المناهج من دورٍ فعّالٍ وغاية نبيلة هادفة لتنوير الأطفال وتوعيتهم وتنمية قدراتهم الفكرية والمعرفية، وتهقيتهم وإعدادهم نفسياً. حيث تلعب التربية الفنية عند الطفل دوراً كبيراً في نقل ما يريده المربّون والمرشدون النفسانيون والمعلّمون من تعاليم وقيم وأفكار في مراحل مبكّرة من سنوات نموّهم، لأنّ الطفل في هذه المرحلة يميل كثيراً إلى كلّ ما هو مسليّ من ألعاب وتمثيلات وأساليب، وإلى كلّ ما يجعله سعيداً مرحاً مبتهجاً، وطبعاً لا يمكن مخاطبته مخاطبة تعليمية وقيمية وتربوية جادّة إلا من خلال دمج بعض هذه الفنون التي لها مظاهر وخصائص فنية تصل إلى قلوب الأطفال قبل عقولهم وهذا ما يسهّل عملية التعليم والرفع من القدرات النفسية والتربوية.

والطفولة مرحلة مهمة من مراحل العمر التي إن أعددتها بالرعاية والعناية اللازمة أعطتك ما تقرّ به العين وتلدّ به النفس ممّا يسمو بالمجتمع من الفكر الناضج، والمستوى المعرفي والعلمي الذي يقود الأمة إلى نهج مبشّر في المستقبل. ولذلك اهتمّ المربّون بالأطفال وبذلوا لهم كثيراً من الرعاية لكي تُرسّخ في أذهانهم القيم، وتُغرس في نفوسهم وعقولهم العقائد والعادات والمذاهب التي يريجونها منهم.

1- مشكلة البحث:

من خلال ملاحظة وجود كثير من المؤسسات التربوية التي تنعدم فيها مواد وأنشطة التربية الفنية التي لها دور كبير في رفع مستوى أطفالنا، وتنمية مواهبهم الفطرية، وبناء شخصياتهم وإعدادهم نفسياً وتربوياً؛ كانت فكرة تسليط الضوء على هذه القضية بليغة الأثر في التوجّه نحو إنشاء مناهج وبرامج وأمكنة خاصة بأنشطة التربية الفنية ، وكذلك إبراز الأثر الإيجابي الناتج عن دمج أساسيات التربية الفنية في المدارس وصفوف التلاميذ في الطفولة المبكّرة.

2- تساؤلات البحث:

تُحاول هذه الدراسة المتواضعة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- مالمقصود بمناهج ومواد التربية الفنية والأنشطة الثقافية؟
- ما الدور الذي يترتب عن التربية الفنية الموجهة للأطفال في المدارس؟
- ما مقدار التفاعل والتأثير النفسي الذي ينتج عن تداول الأطفال لمختلف أشكال التربية الفنية؟

3- أهداف البحث:

- تبين الدور الكبير الذي تؤدّيه أنشطة التربية الفنية على المستوى الفكري والنفسي لدى الطّفل.

- وصف أهم تجليات وأشكال التربية الفنية والأدبية.
- دفع الطفل نحو الممارسة النظرية والتطبيقية للفن وعلم الجمال، وكذلك التذوق الفني والتعبير عن الذات
- التأثير على المربين والمعلمين التربويين بضرورة إدراج مواد التربية الفنية كمناهج رئيسية لها مفرداتها التعليمية بصفة رسمية في المدارس.

4- أهمية البحث:

- إبراز مدى فاعلية التربية الفنية في تحقيق نتائج عامة للعملية التربوية.
- وفهم مشاعر وأحاسيس الآخرين.
- تنشئة الطفل تنشئة نفسية سليمة، وتربوية هادفة، وأن يكون عنصراً فعالاً في مجتمعه من خلال التعبير عن قضايا أمته من خلال التجليات الفنية.

❖ البحث:

5- مفهوم التربية الفنية:

من المعلوم أنّ المقصود بمفهوم التربية الفنية هو كل ما له علاقة بالدراسة والفن داخل المؤسسات التربوية بحيث يكون لهذه المناهج الدراسية دوراً تثقيفياً وتعليمياً لدى فئة الأطفال في الطفولة المبكرة، غير أنّ الدارسين والمختصين يحدّدون مفاهيمها بدقة ومعاني واضحة نذكر منها تعريف محمود البسيوني: "أنّ التربية الفنية تمثل إحدى وسائل التربية الحديثة، بل تمثل طريقة من طرق التربية التي تنشّد عن كتب تنشئة المواطن بصورة اجتماعية متكاملة"¹، وهذا يعني أنّ هذا المنهج الدراسي الذي له علاقة مباشرة بمجالات الفن ذو نظرة حديثة ومعاصرة، لعلّها حدثت بمحادثات الفنون التي ازدهرت وتعددت خصائصها وتجلياتها أكثر في الفترة المعاصرة خاصة مع اندماجها مع وسائل التكنولوجيا الحديثة والوسائط الاجتماعية المختلفة. كما يرى البعض أنّ التربية الفنية تساهم مع باقي المواد الدراسية في تنمية شخصية المتعلّم عن طريق إتاحة فرص التفاعل مع الخبرات التربوية والفنية المباشرة والتي تسهل على فئة الأطفال عملية الاستيعاب وتنمية القدرات العقلية عن طريق الولوج إلى عالم الخيال والفن والجمال بشتى أشكاله، وهذا من أجل تمرير الأفكار التعليمية والقيم الهادفة بما تتيحه الفنون من توضيحات وتفسيرات مشهّدية بصرية وسردية قصصية ومسرحية تشويقية ولوحات تشكيلية يستقرؤها الطلاب ويتعلمون نظريات التعبير والمدارس الفنية المختلفة حتى يكون لهذه الفئة قاعدة تكوين متكاملة مع كل شعب العلوم الإنسانية². وبهذا يمكن لمجالات الفن أن يكون لها دوراً أساسياً لا يقل شأنه عن المناهج الدراسية الأساسية التي تُرمج في مؤسسات التعليم؛ بل أكثر من ذلك حيث أن الفنون والآداب الموجهة خصيصاً للطفل في الفترة الحديثة أصبح لها دور تعليمي هادف وفضل كبير في التوعية والتنوير وكذلك غرس القيم والأخلاق وتطوير المهارات النفسية والعقلية.

¹ الفت حقي، سيكولوجية الطفل (علم نفس الطفولة)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2001، ص 135.

ينظر: المرجع نفسه، ص 141.

6- أهمية التربية الفنية : إنّ مجالات التربية الفنية عديدة ولها من المظاهر الفنية والخصائص الأسلوبية ما يجعلها ذات قيمة إبداعية مؤثرة على كلّ متلقٍ لها؛ فهي تركز أساساً على النمو الجمالي والإبداعي لدى الأفراد ما يجعلهم يطورون قدراتهم الخيالية والعقلية التي لا يمكن التوصل إليها إلا من خلال التعايش والاندماج مع عمليات الإبداع والتأمل والتفكير الجمالي الذي يقود سلوكياته إلى تغيير إيجابي حتمي بعد أن يعيش تجاربة الإحساس والمشاعر بكلّ حواسه، هذا الأمر الذي نجده عند الفنّان والمبدع والكاتب والرسام والشاعر وغيرهم¹ ، تكمن أهمية معرفة الطفل بهذه المجالات الفنية أولاً بفهمه للفنون والثقافات المختلفة ومذاهبها وطرقها وأصحابها وتسمياتها وخصائصها الفنيّة وتشكّلاتها وفضاءاتها وأساليبها وقواعدها؛ وثانياً بكونها تتماشى مع المناهج التربوية التعليمية وتضفي تأثيراً كبيراً في توصيل غاياتها وأهدافها لفئة الأطفال والتلاميذ بمختلف مستوياتهم الفكرية والعقلية. " تعدّ نظرية التربية الفنية المبنية على الفن بوصفه مادة دراسية قائمة بذاتها من أحدث النظريات ومن أكثرها انتشاراً.. يتأثر التعبير الفني للطفل بمراحل النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، حيث لكل مرحلة من مراحل النمو صفاتها الخاصة كما أن تعبيراتهم الفنية تنمو وفقاً لهذه المراحل..."² ، ومعنى هذا أنّ الطفل يحتاج في كل مرحلة مراحل نموه مرافقة سلسلة وحذرة تتناسب مع عمره، وكما نعلم حبّ الأطفال وميلهم في سنواتهم الأولى إلى التسلّي وإلى اللهو واللعب؛ فإنّه يمكن استغلال هذه الفرصة السانحة والعظيمة في محاولة تعليمهم وإعدادهم نفسياً وتربوياً وتهيئتهم لمناهج الدراسة الجادة في المؤسسات من خلال الفنون التي نجد فيها كثيراً ممّا يريده الأطفال من لهو ومتعة تسلية، ففي هذه الفترة نستطيع غرس كلّ ما نريده في عقول الأطفال من معارف وتعاليم وقيم ممزوجة بأشكال فنية عديدة، وبهذا فقط نحقق الغاية والأهمية المنشودة من أهداف التربية الفنية. وللتربية الفنية دور كبير على الناشئة في تنشئتهم على الأصالة والتعاليم والأخلاق وقد كان موضوع التربية على القيم مجال اهتمام الدارسين والباحثين في كل الأنحاء، كما كان محل بحث واستقصاء وعرض وطروق في مؤتمرات وندوات وملتقيات علمية في مؤسسات جامعية في مختلف الدول وهذا ما ينبّهنا على مدى فاعلية المناهج الدراسية في زرع القيم وترسيخ التعاليم الراقية في أجيال أمتنا، وإدراج مواد التربية الفنية من بين أهم الأسباب التي تقرّبنا من غاية الإيقاظ الاجتماعي على المبادئ والفضائل والأخلاق التي تقود الأمة إلى نشئة أجيال مستقيمة صحيحة لا علل قد أصابتها، وإلى عقول راقية سليمة وذات مقومات ومؤهلات تؤدي إلى الريادة في كل المجالات مستقبلاً.

تتجلّى أهمية الفنون والآداب الموجهة للأطفال في أنّها المتّمسّ الذي يجده الطفل وهو يزاول مناهج الدراسة في المواد الأخرى، فهي بمثابة الاستراحة والفسحة التي تخفف عنه أعباء التفكير والتركيز الذهني في دراسته؛ وفيها يُترجم أحاسيسه الذاتية دونما ضغوط أو تسلّط في إطار المحافظة على نمطه وشخصيته وطبيعته فيعبر عن ما يجول في ذهنه عبر ألوان الفن والأدب التي تلائم مستواه الفكري ومن خلالها يطور خبراته وتعاملاته وتفتح خيالاته وتتوسع أفكاره وتبلور رؤاه وتتحدّد اهتماماته³ ، وبهذا تكون مناهج التربية الفنية داخل فصول التدريس كفواصل للترويح عن نفسية الطفل وإفراغ مكبوتاته وضغوطه النفسية المرتبطة بتدريس مواد الحساب والرياضيات التي تشغل حيزاً كبيراً من ذهنه هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى تحمل هذه المواد الفنية بين طياتها أفكاراً تعليمية ومعارف يكتسبها الأطفال عن علم الجمال والتعبير الفني والأحاسيس والمبدعين إضافة إلى ما تُتيحه بعض الفنون والآداب مثل المسرح من تهيئة فكرية وفيزيولوجية تساعد على تطوير القدرات

محمد محمود الحيلة، التربية الفنية وأساليب تدريسها، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص 65.

² حنان حسن عمار، التربية الفنية في الطفولة المبكرة، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، 2016، ص 12.

ينظر: مصطفى محمد عبد العزيز، سيكولوجية التعبير الفني عند الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2014، ص 125.

النفسية والجسمانية، "إنّ ممارسة هذه النشاطات بالإضافة إلى فائدتها في استخدام العضلات وتعلم المهارات الجسمية والحركية تعدّ بمثابة النواة التي تشكل إحساسه بالجمال، فبقدر ما يصيب الأطفال في زمن طفولتهم المبكرة من خبرات بقدر انفعالاتهم أو عدم انفعالاتهم بالجمال والتعبير عنه لأننا لا نهمّل هنا اللذة البصرية أثناء ممارسة التخطيطات"¹. ومن خلال تفرد كل شكل فني بخصائصه وفنّياته وتأثيراته على الجانبين النظري التعليمي أو العملي التطبيقي الذي يزاوله الأطفال تستزيد المهارات وتبلور قدراتهم عقلياً وجسدياً ويكتسب الطفل مهارات وخبرات وتجارب سابقة تُسهّل عليه عملية الاستيعاب والفهم في مستويات التدرج القادمة.

7- دور الفنون والآداب في تطوير المهارات النفسية للأطفال:

تختلف مستويات الأطفال من مرحلة إلى أخرى فمنهم من يكتسب من يطور نفسه ويحفّزها ومنهم من له صعوبات كثيرة في التعلّم، وهي بمثابة الإعاقة الخفية والحيرة بالنسبة لأولياء الأمور والتربويين رغم أنهم يبدون عاديّين تماماً وأذكياء ليس في مظهرهم أي شيء يوحي بأنهم مختلفين وضعيفي المستوى، وبعضهم لا يستطيع تعلّم القراءة وبعضهم عاجز عن الكتابة وبعضهم الآخر يرتكب أخطاء متكررة؛ هذا الأمر الذي وجّه أنظار الأخصائيين النفسانيين ومن لهم دراية بعلم النفس من أجل تكوين مثل هؤلاء الذين يمتلكون المؤهلات اللازمة للتعلّم ولكنّها تصعب عليهم، ومن خلال الطرائق والنظريات المتعدّدة التي جاء بها علم النفس يصبح هناك فهم لتأخر هذه الفئة عن بقية الطلاب فتبدأ عملية التشخيص العلاجي من خلال إدراج بعض الألعاب والمسليّات من أجل اختبار درجات الذكاء، فيتم منح الأطفال الأوراق والقصاصات من أجل التخطيط والرسم والكتابة، والأنشطة الثقافية المختلفة التي تفتح خياله وعالمه الخفي لاستكشاف ما يحيط به، ومن خلال تنشيط حواسه عبر هذه الأشكال الفنية القريبة من اللعب باعتباره حاجة نفسية اجتماعية لا بدّ أن تشبع، وهو مخرج وعلاج لمواقف الإحباط في الحياة اليومية، "وقد أكّد الباحثون أن التعبير الفني للأطفال يعدّ شكلاً من أشكال اللعب، فكلاهما نشاط حر تلقائي ينبعث من الطفل ليرضي حاجاته أو ليدرّب نفسه من خلاله على مواجهة المواقف.. وإتّما هو نشاط ويشغل نفسية الطفل ويحرّك حواسه وخياله وفكره"²، وفي أثناء هذا الاندماج الجماعي واللعب مع الأطفال واختيار مختلف أشكال التربية الفنية التي يقوم بها المختصون يمكن للطفل أن يقلّد زملائه ويرى بعينه ما يدور حوله من مواقف وردود أفعال نابعة عن أصحاب الخبرة في طريقة عرض هذه الفنون كالفن الذي يسرد الحكاية بكلّ حركاتها وسكناتها مع أساليب التمثيل بملامح وجهه وجسمه وأصواته المتغيّرة، أو كالممثل المسرحي الذي يرتدي اللباس المزخرف ويقوم بأداء أدوار بهلوانية وتعبيرية مختلفة، أو كالمُنشد والراقص أو الرسّام أو غير ذلك مما يأخذ انتباه الطفل وبالتالي تحدث عملية التلقين وكسب المزيد من المهارات بعد إعادة هذه الأنشطة عبر أيام الأسبوع.

يعتبر علم النفس التربوي من فروع العلم الذي يهتم بدراسة مشكلات التعلم والتعليم والضعف في المستوى الفكري، ومن أجل ذلك صاحبت التربية بمختلف مناهجها العامة والتربية الفنية عملية الإرشاد والتوجيه النفسي الذي يهدف إلى تنمية الفرد في جميع جوانب شخصيته وتسير به نحو كمال وظائفه وما تحتاجه هذه الوظائف من أنماط سلوكية وقدرات³، وهذه هي غايتنا المنشودة التي نسعى إلى

¹ ينظر: مصطفى محمد عبد العزيز، سيكولوجية التعبير الفني عند عند الأطفال، ص 85.

المرجع نفسه، ص 87.

ينظر: عبد الله أبو زعيز، أساسيات الإرشاد النفسي والتربوي، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 18.

تحقيقها بكل الأشكال والطرق التي تساعد في ذلك ومن بينها التداخل مع ما تُلمِّه مباحث علم النفس المتعلقة بتطوير السلوك والتعلم والتعليم.

8- النظريات النفسية لمنهج التربية الفنية:

يسعى علم النفس التربوي إلى تحقيق الكثير من الأهداف والغايات الخاصة بتنمية مهارات الطفل الحسية والفيزيولوجية، كما يسعى أيضاً إلى توليد المعرفة الخاصة بالتعلّم وتنظيمها على نحو منهجي ومن ذلك برمجة بعض مواد التربية الفنية التي لها دور في الرفع من قدراته الفكرية والعقلية، وصياغة هذه المعارف الفنية وتصنيفها على حسب المستويات والمراحل العمرية وتمكين التربويين من تطبيقها مع تحديد الأهداف المرجوة من كل منهج وشكل فني، وقد وجّه علماء النفس اهتماماً كبيراً بأهداف العملية التعليمية وطرائقها المختلفة التي تحاول فهم عقلية الطفل منذ بداية نموه واستيعابه لما يجري حوله، بحيث "توفر الأهداف قدراً من الفهم يسمح للقائمين على الأمور التربوية بوضع المناهج التي تحقق الغايات التربوية على النحو الأفضل وتمكنهم من إعادة النظر في المناهج القائمة..."¹، وعلى هذا الأساس يجب مراعاة احتياجات الأطفال والطلاب المتعلمين ذوي المستوى المحدود أو الضعيف وحتى ذوي التفكير السليم والذكاء الحاد منهم يحتاجون إلى الاستفادة من مواد التربية الفنية والإبداعات الفنية المعاصرة والمتجددة، لأنّ موضوعات الفن وعلم الجمال إضافة إلى ما تؤدّيه من أهداف تربوية وتعليمية فإنّها تُخاطب الروح والوجدان كما تُنقّس عن الضغوطات التي تصيب الأطفال من جوانب أخرى من الدراسة أو الأسرة أو المجتمع وغير ذلك.

إذا نظرنا إلى أشكال التعبير الفني وتلقينها للأطفال من منظور علم النفس فإننا نجد أنها وسيلة وأداة مناسبة لقياس الجوانب الشخصية لهم، لأنّ حالة الطفل أثناء عملية التعبير الفني أشبه بالتداعي الحر في مجال علم النفس وأشبه بالنشاط اللعي الذي يهيمن على مرحلة الطفولة حيث التلقائية وتأكيد الذات والاستمتاع وبداية نمو وبناء الشخصية لدى الطفل، لذلك يمكن الاستدلال على عوامل كثيرة من خلال الفنون والتعبيرات الحرة، كما يمكن توجيه الطفل في هذه المرحلة عبر تسطير غايات هادفة ذات بعد تربوي وتعليمي وتنقيفي وكل ما يُنمّي مواهبه ويبلور طاقاته الكامنة، وهكذا فإننا نجد الفن وسيلة تلامس وتُشّاج أحاسيس كلّ مُتدوّق صغيراً كان أم كبيراً، وقد تعلّمنا من قبل بعد اجتهادات علماء النفس وعلى رأسهم الطبيب النمساوي (سيجموند فرويد) بأنّ الفنّان يفرّ إلى تحقيق غاياته الروحية عبر استنطاق مكبوتاته التي تخرج في شكل إبداعات متنوعة؛ وما هذا المثل إلا رؤية عن أهمية الفن في الترويح عن النفس وشفائها من أمراضها الداخلية؛ فكيف إذا كانت هذه الفنون بمقاييسها ومناهجها النظرية والتطبيقية في مناهج الدراسة؟ حتما ستكون نتائجها إيجابية ووظيفية وذات مغزى وأهداف مُحققة.

ومن النظريات النفسية التي عنت بالتربية الفنية نجد:

8-1. النظرية الفطرية: والتي فسّر أصحابها العملية الفنية والتعبيرات الجمالية تعتبر عملية فطرية حيث قسّمت مراحل نمو العملية الفنية عند الفرد في طفولته إلى مراحل وتدرج تحت هذه النظرية نظريات عدّة منها:

عبد المجيد نشواني، علم النفس التربوي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة 4، 2003، ص 45.

2-8 النظرية المعرفية: إنّ الطفل في رأي أصحاب هذه النظرية يرسم ما يعرفه مالا يراه وإنّما التشوهات التي تُرى في رسوماتهم وتخطيطاتهم إنما هي دليل على عدم نضج مستواهم الفكري، أو عدم معرفتهم لتفاصيل الأشياء وأحجامها والمساحات والألوان.

3-8 النظرية التطورية: وقد ركّزت هذه النظرية على العمر الزمني باعتباره أساسا للعملية الفنية وتطوّرها.

ج- نظرية التحليل النفسي: وهي النظرية التي جاء بها سيجموند فرويد ومفاهيمه التي ترى بأنّ اللاشعور يعدّ أساسا في عملية الإنتاج الفني والإبداعي.

4-8 نظرية الجشطالت: ويرى أصحابها أنّ العملية الفنية ناتجة عن الإدراك الكلّي للأشياء الموجودة في الطبيعة.

5-8 . النظرية التأثيرية: ويعتقد أصحاب هذه النظرية أنّ الطبيعة هي العامل الرئيسي الذي يؤثر على الإنتاج الفني للأطفال، ولذلك يركزون على دراسة تاريخ الفن وتطوراته المختلفة والطفل يكتسب ثقافته الفنية من المحيط الخارجي.

6-8 . النظرية التفاعلية: وهي أنّ الأطفال يتفاعلون ويتأثرون بمن حولهم من الأفراد وعناصر الطبيعة ومظاهرها¹.

ومن النظريات المعاصرة أيضا نظرية نقل الخبرة التي تقول بأنّ التربية رسالة تحمل رصيда معرفيا وثقافيا؛ وغايات تربوية وإرشادية لتطوير الفكر وترقية المستوى الثقافي.

كلّ هذه النظريات والآراء النفسية المستمدة من مباحث علم النفس تحاول وضع تماس بين التربية والتعليم وتطوير قدرات الأطفال، وبين أساليب التربية الفنية وتجلياتها المتعددة التي تحاول مقارنة عوالم الأطفال الغامضة في مراحل نموهم من أجل تشخيص هذه النقائص والاحتياجات النفسية والجسمانية من خلال وضع كل شكل من الأشكال الفنية وقواعده في مرحلة محدّدة من مراحل التعليم الأساسي كمنهج دراسي يُثري العملية التربوية على مستوى الجانبين النظري والتطبيقي.

تسعى أغلب نظريات علم النفس إلى دراسة شخصية الفرد من جميع جوانبها، وذلك حتّى يتسنى لها تشخيص الاحتياجات النفسية ومحاولة معالجتها عبر التعبيرات الفنية وأدواتها المتعددة، وهذا الأمر الذي جعل من علماء النفس يجتهدون لوضع نظريات خاصة للتعلّم وبناء الشخصية السوية للفرد ومن بين أهم المؤثرات التي وُجدت لها فعاليات ناجحة هي التربية الفنية والممارسة التطبيقية في مراحل الطفولة المبكرة "إنّ التطوّر بواسطة فعاليات فنية يعتبر عملية ذاتية بحتة وهي عملية تنشيط القوى الداخلية عند كلّ طفل، وهي ضرورية للتطور والنمو الشخصي عند الأطفال ذلك أنّها تدعو إلى التجارب التي تدمج بطبيعتها الجانبين الذهني والعاطفي"²، إذ أنّ فمّن خلال اندماج الطفل مع مناهج التربية الفنية في سنوات مبكّرة وتآلفه مع تقنياتها السمعية والبصرية من خلال فن الرسم والمسرح والقصة والإنشاد والرقص واللعب الجماعي المنظّم وكل ما له علاقة بعملية التعامل مع نفسية الطفل عن طريق الفن؛ يستطيع أطفالنا اكتساب خبرات سابقة في مجال التعبير الفنيّ نظريا بتعرّفهم على الأشكال الفنية والثقافية والأنشطة الدرامية والرياضية وعلى مختلف الإبداعات الفنية التي ستجعلهم أفرادا

ينظر: خالد محمد السعود، مناهج التربية الفنية بين النظرية والبيداغوجيا، دار وائل للنشر، عمان، 2010، ص 23.¹

حنان حسن عتّار، التربية الفنية في الطفولة المبكرة س ، ص 68.²

ذوي فكرٍ مُستنير بعالم الفن وعلم الجمال ومذاهبه واتجاهاته الفنية، ما يؤهلهم أيضا في مرحلة متقدمة من أن يكونوا مبدعين وفنانين قد تبلورت لديهم تلك الأفكار وبالتالي وجدت التربية الفنية ضالتها في الإرشاد والتعليم النفسي والجسدي وفي تطوير مواهبهم وقدراتهم.

9- التذوق الفني لدى الأطفال:

يعيش كل فرد من أفراد المجتمع تلك النفحات الخاصة بالتذوق الجمالي للفن، حيث يميل كل شخص إلى نوع خاص من أنواع الفنون على حسب ميولات النفس وما تجده في من تطهير للروح وتنفيس عن ما يجول في وجدانها؛ والطفل كغيره من البشر هو أيضا يعيش تلك الحالات الاستثنائية كما رأينا من قبل عن قضية اللعب في مراحل النمو المبكرة وكذا الاجتهادات النظرية التي طرحها علم النفس الذي فصل في دراسة تصرفات وحالات الطفل عبر تقسيم مراحل نموه إلى فترات متفاوتة وما يعيشه من تكوين وتطور في كل فترة، ومن بين أهم القضايا التي عالجها علم النفس قضايا الإدراك الجمالي والذكاء والابتكار ونظريات التعلم السلوكية والمعرفية لتطوير المهارات وبناء الشخصية؛ وطبعا جاءت كل هذه النظريات ملازمة الجانب الطفولي في دراسات علم النفس وفلسفة التطور، "والتذوق الفني جانب من جوانب التذوق الجمالي العام يختص بتذوق الأعمال الفنية المختلفة من فنون تشكيلية، وشعر، وموسيقى، ومسرح وسينما، وغيرها من المجالات الفنية.. والتذوق الفني يعني محاولة التعرف إلى العمل الفني وفهمه والكشف عن القيم الجمالية والفنية والتعبيرية وتقديرها ثم إصدار الحكم عليها، وهو من أهداف التربية الفنية فالخبرات الفنية التي يكتسبها المتعلمون تُنمي لهم القدرة على تذوق تعبيرات الإنسان الابتكارية"¹، ومعنى هذا أنّ التذوق الفني للأطفال في مراحل الدراسة الأولى تساعدهم على تنمية القدرات الحسية من خلال انفتاحهم على مجموعة من الأشكال الفنية في مراحل مبكرة، هذا ما يجعلهم يسيرون بالتدرج مع مستويات الدراسة ومع ما يقوم به التربويين والمختصين في المناهج الفنية من أهداف تعليمية تتماشى مع كل مستوى، وهذا أيضا ما يجعلهم يحسنون درجات الذكاء من خلال مرافقة الطفل بتدريبات تطوير الذات عن طريق الفنون والمناهج الدراسية والتربوية المختلفة، وتعتبر قضية التذوق الفني لدى الأطفال من موضوعات التعلم الوجداني الذي يعدّ منهجا في علوم الذات حيث يتضمن التنمية الاجتماعية ومهارات الحياة والتعلم الاجتماعي والانفعالي والذكاء الشخصي ومن أمثلة ذلك : الوعي بالذات، تفهم مشاعر الآخرين والقدرة على التواصل، تعلم مواجهة المواقف والأزمات، تعزيز القدرة على الثقة بالنفس². تسعى أهداف التربية الفنية إلى تعزيز القدرات ورفع مستوى الأطفال وتكوينهم على جميع الأصعدة؛ الفكرية في بناء الشخصية السليمة، أو الجسدية في تطوير المهارات وبلورتها عبر الاندماج الفعلي مع الأنشطة الثقافية والفنية التي يؤدّيها أصحاب الخبرات والتجارب ومن لهم دراية كبيرة بشخصية الطفل في كل مرحلة من مراحل نموه، فيقومون بتقديم الأساليب والتقنيات الفنية المناسبة مع كل مرحلة من أجل نقل مختلف التجارب الإبداعية التي تتجلى عبر الفنون ومن ثمّ تمرير الغايات التعليمية الهادفة لأنّ سلامة هذه الفئة وانطلاقها من قاعدة ذات أساس علمي وتربوي متين سيكون تأثير مداه على المجتمع عامة وعلى ضوء ذلك تتطور الأمة في كل مجالاتها.

ولا ننسى قيمة وأهمية هذه الأنشطة الفنية الموجهة للطفل في بناء المجتمع وتقويمه في ظل ما نشاهده اليوم من فوضى وفساد وسوء الأخلاق والتأخر في المستوى الدراسي وحتى في الحياة المهنية يشوبها بعض الاختلال، وعلى هذا الأساس فإنّ عملية التذوق الفني للطفل تكون

محمد محمود الحيلة، التربية الفنية وأساليب تدريسها، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص 35.

ينظر: محمد علي، محمد النوبي، صعوبات التعلم بين المهارات والاضطرابات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 96.

تمهيدا لتهيئته على الممارسة الفعلية والتعامل مع مناهج التربية الفني " إنَّ عملية الإبداع الفني منذ بداية الطفولة مدفوعة بنزعات فطرية، فالطفل يرسم كما يلعب، وهو في رسمه ولعبه يتطوّر ويترك تطوّره آثارا أشبه ما تكون بآثار خطّي السائر على الأرض، والفطرة في بداية الأمر هي العامل الأساسي في التوجيه والمسؤول الأول عن النتائج ولكن سرعان ما يعترض هذه الفطرة الموجهة لحياة الطفل موجه جديد هو الوعي. والفطرة والوعي يكونان في الحقيقة كفتي الميزان الذي يقيس به الطفل بعد ذلك العالم الخارجي، وعن طريق هذا القياس والتقييم المبني على توجيه مزدوج للطفل يتمّ تطوّره"¹، إذاً فالتربية الفنية والتذوق الجمالي لا يكون ممارسا من أجل المتعة الفنية والتلقي الجمالي فقط بل له دور في المجتمع كبير، ولذلك يجب أن نعطي لهذا المجال حقه من التجسيد الفعلي على أرض الواقع في المؤسسات التعليمية وعبر النشاطات الثقافية المختلفة في دور الثقافة والهياكل المخصصة للفنون الجميلة.

ويؤكد العلماء على ضرورة توجيه الأطفال إلى تعلّم وممارسة الثقافة المرئية والمكتوبة والمسموعة من أجل تعلّم عملية تقييم الأشكال الفنية وتحليل رموزها وتفكيك شفراتها، فالتذوق الفني عملية ابتكارية لا تقل أهمية عن الإبداع الفني، والمتأمل لمعظم البرامج الفنية يرى أنها تهدف إلى إعداد الطلاب الذين يمكنهم التوصل إلى أحكام جمالية متميزة حول العديد من أشكال الفنون المرئية.

10- أساليب تدريس التربية الفنية:

بطبيعة الحال أن تسير مناهج الدراسة لدى الأطفال عبر خطوات منظمة وبرنامج منطقي متسلسل من مرحلة إلى أخرى على حسب مستوياتهم العمرية والفكرية، غير أنّ تدريس التربية الفنية يتميز بخصوصية الأسلوب الذي يعتمد على التأثير والممارسة النظرية والتطبيقية من خلال شحن الأطفال بالانفعالات والعواطف نحو الموضوع المراد التعبير عنه أو وصفه أو تعليمه كفعل تربوي، وكلّ خطة دراسية يضعها معلم التربية الفنية لابد لها من خاصية أو استراتيجية تعتمد على أساس مبدأ التطوير؛ التجديد؛ التلقين؛ التفهيم؛ والممارسة والابتكار تحقيق النتائج المرجوة²، فكلّ ما سبق من حديث عن التربية الفنية والتعليم وتنمية المهارات النفسية وبناء شخصية الطفل وتطوير مواهبه وقدراته من خلال تذوق الأعمال الفنية وممارستها يتوقف على مدى طريقة تدريسها وطرحها لهم، وهذا يرجع طبعا إلى آليات مدروسة وإلى تجارب سابقة ولها نتائج ناجحة على من تلقّاها حتى تُنقل هذه التجارب الفنية للأطفال كمنهج دراسي معتمد له برامج وقواعده، "إنّ حصيلة المعلم المعرفية وقدراته العقلية والأساليب التي يتبعها في استشارة طلابه، هي من العوامل الهامة التي يجب أخذها في الحسبان عند البحث في الخصائص المعرفية للمعلم الفعال. وهذه الفعالية تعتمد على الاستراتيجيات التي يتبعها في عملية التواصل مع طلابه وإيصال ما يعرف إليهم"³، وطبعا لا يكون هناك تواصل وتفاهم وثقة بين المعلم وطلابه إلّا من خلال الإعداد النفسي والاقتراب أكثر وأكثر منهم بصفة حميمة من أجل وضع جسر الأمان والمحبة والصدق المتبادل لكي يستطيع المدرّس أن يؤثر فيهم عبر المقومات والمؤهلات التي يمتلكها في المجال الفني الذي يختصّ فيه. ومن استراتيجيات التدريس الخاصة بالمعلم تحركاته داخل الصف وأفعاله وحركاته وسكناته كلّها والتي تحدث

¹ سعد الخادم، الفن والتربية الاجتماعية، دار المعارف، مصر، 1953، ص 14.

² ينظر: محمد محمود الحيلة، التربية الفنية وأساليب تدريسها، م س، ص 48.

³ عبد المجيد نشواني، علم النفس التربوي، م س، ص 47.

بشكل منتظم ومتسلسل وهو مطالب بالحيوية والنشاط وتعبيرات اللباس والمؤثرات الصوتية وأساليب الكلام والإلقاء، والإشارات وملامح الوجه ودلالاتها وغير ذلك وتتلخص استراتيجية التدريس في التربية الفنية فيما يأتي:

- تنمية قدرة الطلبة لمواجهة التدفق المعرفي وأساليب اكتساب المعلومات والمهارات.
- مساعدة الطلبة في طرق التفكير بوضوح والوصول إلى الغايات في كل الإشكاليات.
- تنظيم العروض وترتيب الأنشطة الثقافية حسب الموضوعات والأهداف والقيم.
- مراقبة النتائج واستكشاف مستويات الطلبة من خلال التقويم التكويني أثناء ممارسة النشاطات.
- طرح الأسئلة والتخطيط للخطوات والبرامج القادمة في التعلم اعتماداً على إجابات عن أسئلة الطلبة واحتياجاتهم الفنية والفكرية.
- تسطير أوقات للعمل الجماعي من أجل تعزيز الثقة والتفاهم والتآلف والاندماج في عروض الفنون الجماعية مثل المسرح والرقص¹.

11- أشكال وميادين التربية الفنية:

إنّ مجالات التربية الفنية متفرّعة عن عدّة تجلّيات وأساليب وتقنيات، فكلّ فنّ من الفنون منفرد بخصائصه الجمالية وسماته الفنية وطرقه في التعبير عن الموضوعات التي يُعالجها، وكلّ هذه الفنون سمة من سمات الإنسان ومن خلاله يعبر عن مشاعره وأحاسيسه وأفكاره وله أهمية كبيرة بالنسبة للأطفال بما يحققه من تنوير الفكر وتنمية المواهب وتطوير القدرات، وهذه الأنشطة الفنية دوراً بارزاً في بناء شخصية الطفل. وتنوع أشكال التربية الفنية وتتقارب في بعض خصائصها وتتشترك في بعضها الآخر؛ فمنها السمعية مثل: الموسيقى، والقصص القصيرة والأناشيد والأغاني الشعرية، ومنها البصرية المرئية مثل: المسرح والسينما والتلفزيون والرسم، ومنها الأنشطة الثقافية التي تعتمد على الورق والتركيب والقص واللصق. وفيما يأتي نلخص أهم أنشطة التربية الفنية:

11-1 الرسم:

يعدّ الرسم أحد أهم الفنون البصرية وأحد أقدم الفنون الجميلة في التاريخ ظهوراً، ويُطلق عليه أحياناً التصوير ومنه التصوير الزيتي والمائي والتخطيط اليدوي، يعتمد فن الرسم غالباً على المهارات الفردية لدى الأطفال وتكون واضحة جيدة أو غامضة ضعيفة وغير مفهومة حسب مستوياتهم، وضرورة تعليم الرسم للأطفال حالة أولية لا بدّ من التركيز عليها كضرب من ضروب الإبداع، وفن الرسم يمكن الطفل من تطوير مخرجاته الفكرية بشكل صحيح وتطوير مقدرته السلوكية والنفسية بشكل منطقي²، وفن الرسم يُساعد الطفل على التفكير والتركيز خاصة في تحديد الأشكال والألوان كما يجعله يعبر عن مكنوناته وما يشعر به من مثيرات خارجية تجعله يبتكر ويطوّر قدرات ذكائه، إضافة إلى كونه نشاطاً ملهياً ومسلياً فهو قريب من نشاطات اللعب التي يجد فيها الطفل راحته النفسية.

إنّ طريقة التعبير عن المشاعر والانفعالات عند الأطفال تختلف عن البالغين والراشدين لأنهم يستطيعون التعبير عنها بكل أريحية لتمكنهم من الكلام والتعبير بمختلف الحواس لديهم، أمّا الأطفال فقدراته اللغوية في التعبير لا تؤهلهم عما ينقصهم من حاجات؛ ولذلك كان الرسم

¹ ينظر: خالد محمد السعود، مناهج التربية الفنية بين النظرية والبيداغوجيا، م س، ص 65.

² ينظر: مروان عمران عبد الحميد، أثر الممارسة الفنية في تنمية القدرات الذهنية للأطفال، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، 2016، ص 115.

والتلوين والتخطيط وسيلة فعالة لفهم مكونات الأطفال ودوافعهم ومشاعرهم حيث يفرغون على الورق ما يجول بداخلهم ويرسمون أحلامهم وأمنياتهم ومستقبلهم الذي يريدون¹، وبهذا يُصبح الرسم طريقة بديلة لدى الطفل في التعبير عن ما تريد نفسه من أشياء واحتياجات روحية وحتى مادية، فهو شكل من أشكال التواصل الفني الذي يعتمد بدرجة كبيرة على الرموز والإيحاءات والطلاسم التي تنبع عن براءته الفطرية، وبهذا يُمكن فهم الطفل والتحاوّر معه عبر فنون الرسم وتلوينات الأشياء، كما يمكن فهم اهتماماته وميولاته نحو الأشياء وعلاقته بالأسرة والمجتمع وهذا ما يُسهّل الأمر على الأسرة التربوية والمعلمين في فهم واستيعاب الأفكار التي يريد الطفل الإفصاح عنها. ويمكن تلخيص أهم دلالات وخصائص رسوم الأطفال فيما يأتي:

- **التخطيط العشوائي:** عندما يبلغ الطفل سن الثانية يُلاحظ عنه رغبة في تقليد الكبار الكتابة وحمل القلم فيقوم بتخطيطات غير منتظمة لا تعبر عن أي شيء إنما تعكس أحاسيسه العضلية فقط.
- **التخطيط الموجي:** وهو أخذ التخطيطات السابقة نظاماً جديداً خاصاً بالتموجات الأفقية، ويرجع ذلك إلى بداية إدراك الطفل العلاقة بين حركة اليدين.
- **التخطيط شبه دائري:** في السنة الثالثة من عمر الطفل يقوم الطفل بعمل خطوط دائرية نتيجة لبداية نمو عضلات الطفل وقدرته في السيطرة على القلم.
- **التخطيط المتنوع:** في السنة الرابعة يلجأ الطفل إلى تخطيطات أكثر تطوراً فيها الخط المائل والدائري والأفقي وهي مقدّمة لبداية رسمه الأشكال.
- **التسمية:** وتبدأ عند رسمه الأشياء وتسميتها، والسبب أنه لم يقتنع بقدرته على التعبير لما يهدف إليه من خلال رسمه.
- **الحذف:** في هذه المرحلة يقوم برسم الأعضاء التي تقوم بالوظيفة أو الحركة ويحذف الأخرى.
- **التكرار الآلي:** يكرّر الطفل بعض الرسومات ما يدلّ على استقرارها في نفسه ومخيلته. وبعد هذه المرحلة تتطور قدرته على الرسم وتظهر خصائص عديدة في تخطيطاته مثل الوضع المثالي، والتماثل، ورسم خط الأرض والأشياء، والمبالغة والإطالة في الأشياء، والتسطيح في رسوماته، والميلان، والجمع بين الأمكنة والأزمنة، ثم الكتابة وتصغير الأشياء²، وكلّ هذه المراحل تسير تدريجياً مع كبر سنّه وتتطوّر معه؛ ومن خلال بلورتها عبر مناهج التربية الفنية من قبل مربّين ومعلّمين مختصّين تبدأ عملية التذوق الفنّي وهناك يمكن زرع القيم والتعاليم والأهداف المرجوة من أشكال التربية الفنية.

11-2 المسرح:

يعدّ المسرح من فنون الأدب التمثيلية التي ظهرت منذ الحضارة الإغريقية القديمة وكان الهدف من التأليف التراجيدي للمسرح عندهم هو تحقيق عنصر التطهير الروحي والنفسي، وللمسرح أصول وتقنيات وقواعد في الكتابة لأنه يشمل توجهين؛ أحدهما يتعلّق بالتصّ الكتابي وخصائصه البنائية والفنية؛ والثاني بالعرض المسرحي الممثّل فوق الخشبة وأساليبه السينوغرافية. كما أنّ أغلب الدارسين لأدب الطفل يجمعون

¹ ينظر: حنان حسن عمّار، التربية الفنية في الطفولة المبكرة، ص12.

² ينظر: خالد محمد السعود، مناهج التربية الفنية بين النظرية والبيداغوجيا، م س، ص23.

على أن المسرح الموجه للطفل يوضع فوق كل اعتبار لما له من طريقة في الإقناع والتأثير الفني، وهو خير دافع للسلوك الطيب والتعاليم النبيلة والقيم الهادفة لأنه يصل إلى قلوب الأطفال بشكله المشهدي الممتع والمشوق¹، والمسرح المدرسي من أهم أشكال التربية الفنية الذي يبعث الفرجة في نفوس الأطفال ويخرجهم من أجواء الانغلاق على النفس وبعد المناهج الدراسية التي تأخذ منهم تركيزاً وإدراكاً وتفكيراً كبيراً، والمسرح المدرسي توجهه تربوي تعليمي تعلّمي هادف، وهو من بين أهم ميادين التربية الفنية ذات الشكل المرئي الذي يشد الانتباه ويجذب عقول المشاهدين الصغار، وفي خلال ذلك تكون موضوعاته محلّ اهتمام وتأثير عليهم وهو نشاط فني يؤدّيه ممثلون من المدرسة والأسرة التربوية ومن تتوفر فيهم أساليب الأداء والحفظ والرشاقة والإلقاء الجيد من الطلبة، يسعى المسرح المدرسي إلى تنمية ثقافة التلميذ وبناء شخصيته وتكوينه نفسياً واجتماعياً، كما يطور قدراته التعبير وتعلّم مخارج الحروف والكلام الفصيح، والمهارات الجسدية والحركات الرياضية²، ويعطي المسرح المدرسي الفرصة للأطفال من أجل التطبيقية للفن بتجلياته المختلفة اعتباراً أنّ المسرح أبو الفنون لأنه يحمل بين طياته التمثيل والرقص والموسيقى وفنون التشكيل والديكور والسينوغرافيا وفن الإلقاء وعلى هذا الأساس فإنّ تأثيرات المسرح كشكل فني تربوي وتعليمي على الأطفال ستكون بليغة وقيمة وذات نتائج إيجابية فعّالة. " إنّ عوامل الإيهام المسرحي تتعاون مع خيال الطفل وموقفه الاندماجي فتصل حالات التعاطف الدرامي إلى قمة المتعة والانفعال والتأثر إذا أحسن الربط بينها ووعيت الخصائص التربوية والسيكولوجية والفنية المختلفة، بالإضافة إلى خصائص المسرح كوسيط يقدم للأطفال لونا من أدبهم على صورة نص مسرحي جيّد"³.

ولمسرح الطفل التعليمي أنواع مختلفة نذكر أهمّها:

11-2-1. المسرح الارتجالي:

وهو المسرح الذي يقوم بأدائه شخصيات حقيقية سواء كان الممثلون صغاراً أم كباراً، وتترك فيه حرية المشاركة الارتجالية للطفل بأسلوبه الفطري القائم على غريزته في التعامل مع الأشياء، أمّا الممثلون الكبار فيؤدّون مسرحيات للأطفال اعتماداً على التحضير والتدريب والإعداد من خلا تهيئة المناظر على منصات القاعات والأثاث والرسومات والأضواء وكل ما يكون العرض المسرحي، ويكون منظماً وقائماً على أفكار وموضوعات تربوية وتعليمية راقية وهادفة مع بعث البهجة والسرور والمتعة والفرجة الفنية في نفوسهم.

11-2-2. مسرح العرائس:

مسرح العرائس من الأشكال الفنية والدرامية التي يمكن توظيفها في ميدان التربية الفنية وهو يجمع بين اللهو واللعب والفرجة والفسحة التي يقدمها للأطفال، وبين العملية التربوية والتعليمية والإرشادية؛ وهو عبارة عن مجموعة من العرائس التي تُصنع من الخشب أو الورق أو البلاستيك على هيئة دمي بشرية أو حيوانية بأحجام مختلفة تقوم بسرود قصة ما، أو طرح أحد الموضوعات التعليمية ذات الغايات الهادفة عبر محاكاة حركاتها وأصواتها التي يقوم بها صاحب العرض (مُحرّك العرائس)، وتسمّى هذه العرائس الماريونيت أيضاً⁴، ويقوم مسرح العرائس

ينظر: عبد الفتاح نجلة، المسرح المدرسي والعلاج النفسي، دار فرحة للنشر والتوزيع، السودان، 2004، ص 18.

ينظر: مروان مودنان، مسرح الطفل من النص إلى العرض، مطبعة النيل، الدار البيضاء، 2015، ص 126.

³ أحمد نجيب، أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص 114.

ينظر: أحمد زلط، أدب الطفولة أصوله ومفاهيمه، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 120.

في مجسمات صغيرة تُشبه المبنى المسرحي، وله ستارات ومنصة واضواء وما شابه خشبة المسرح غير إنها اصغر ومناسب للدمى التي يُحرّكها شخص عن طريق الخيوط لتؤدي أدوارها وكأنّها تتكلّم وتتحرك بنفسها.

11-2-3. خيال الظل:

هو لون من ألوان الأدب الشعبي الذي يمتدّ في جذوره ويتداخل مع الأشكال الفنية التراثية، وهو قديم المنشأ وعريق الذوق؛ وعديد التشكّل فتارة يوصف بأنّه مجموعة من التماثيل التي كانت توضع على مطحنة خشب تُدار بسرعة فتظهر طائفة وتغيب طائفة، وتارة أخرى يوصف بأنّه يُعرض من خلال شاشة بيضاء تُضاء بإنارة خافتة وشخصياتها مثل دُمى العرائس إلّا أنّها لا تظهر مباشرة للمشاهدين¹، والخلاصة أنّها أحد الفنون المشهدة التمثيلية التي تأتي بخصائصها ومميّزاتها في العرض الذي يقدّم لجمهور الأطفال من أجل الغاية التربوية والتعليمية التي جاءت في الميادين الفنية الأخرى.

11-3 القصة:

تُعَدّ القصة من فنون الأدب المشوّق بخصائصه الفنية والسردية وحتّى الدرامية التي تأخذ ألباب الأطفال بحبكتها وتؤثّر فيهم أيما تأثير، وفيها جمال ومتعة ينتقلون في رحابة أحداثها الشيقية؛ فيطوفون بعوالم بديعة فاتنة، وعجيبة أخاذة تحبس الأنفاس، فيلتقون من خلالها بألوان البشر والكائنات والعجائب والأساطير والشخصيات التاريخية وغير ذلك، ومن خلال توظيف الفن القصصي كأسلوب من أساليب التربية الفنية يمكن للطفل أن يقوّي فكره على حس الخيال والتأمل والتفكير، ومن أهدافها التعليمية التعريف بالشخصيات الإسلامية العظيمة وأمجادها، والاطّلاع الواسع على تاريخ الأمم والحضارات. والقصة من الأشكال الأدبية الممتعة التي تلقى قبولا رحبا لكلّ الفئات ولا سيّما الأطفال فهي تعتبر الفن المحبّب لهم في كلّ الأزمنة والأمكنة، إضافة إلى هذا فهي تحمل بين جوانبها قيماً وتعاليماً وأخلاقاً وتربية... والقصة من الوسائل المقروءة التي تلعب دوراً مهماً لا يستهان به في تثقيف الطفل ومده بالمعلومات والمعارف والخبرات وإطلاق طاقاته الغبداعية وتنمية ملكة التخيل والتصور والتحوّل الوجداني مع الطفل²، إنّ الكتابة القصصية للأطفال والتي تحمل في أحداثها وموضوعاتها خططا تعليمية هادفة لها سرعة نفاذ وتأثير كبير؛ ذلك بما تُتيحه سماتها الفنية وتقنياتها في التعبير والحبكة المتينة وعناصرها البنائية كالشخصيات والزمن والمكان والحدث والصراع، إنّ الطفل بطبع يحبّ الاكتشاف ويتشوّق إلى الأشياء الجديدة كما يحبّ اللعب والتسلية ولعلّ الأدب القصصي من أجمل الفنون التي تسره وتبهج قلبه لأنّها تشتمل على كلّ ما ذكرنا، إضافة إلى أنّها تأسره وتُنمّي ذاكرته وتُنشطها لما فيها من العجب وحكايات الحيوانات والجن والعفاريت وغير ذلك ممّا جاء في كتب التراث العربي مثل كتاب (ألف ليلة وليلة) وكتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفّع، وقد رأينا بعض القصص والحكايات الخالدة لدى الأطفال تُروى وتُنقل من جيل إلى جيل مثل حكاية (سندريلا)، و(بياض الثلج والأقزام السبعة)، و(ليلة والذئب)، وغيرها مما احتفظت به أذهانهم.

المرجع نفسه ، ص130.

² عبد الفتاح نجله، المسرح المدرسي والعلاج النفسي، م س، ص52.

11-4 الشعر والإنشاد:

وهو من أكثر الفنون الأدبية شهرة وشيوعا وأكثرها انتشارا، والشعر مرتبط بالوجدان والخيالات والتعبيرات النفسية الجانحة، حيث يُعبّر الشعراء عن مكنوناتهم ويروون أخبارهم وتفاصيل حياتهم، وهو أنواع: شعر غنائي وهو الوجداني الذي يعبر بصدق عن أحاسيس الشعراء ومشاعرهم اتجاه الأحبة والأهل والوطن، وشعر تمثيلي درامي قريب من خصائص فن المسرح يصوّر أحداثا ويسرد قصصا مع احتفاظه بالخصائص الشعرية كالوزن والقافية والمعنى والأسلوب والخيال، ومنه الشعر الملحمي أو القصصي الذي يحكي حياة الأساطير والأبطال وحروبهم قتالهم وغير ذلك. أمّا الشعر الموجّه للأطفال فهو القريب من أذواقهم في خصائصه الإنشادية أو الغنائية على شكل مقطوعات فيها ألحان موسيقية تُلّفن لهم فيها تعبير عن قيم وموضوعات هادفة، "يهدف شعر الأطفال إلى إعطاء المزيد من الخبرات وإلى إمداد التجربة بمنافع يستفيد منها الأطفال، لأنّ الشعر بإمكانه أن ينقل الأحداث العادية أو اليومية ويظهرها بطريقة جديدة محبّبة. فهو لا يكتفي بإظهار الحياة كما هي في الواقع بل يضيف عليها أبعادا جديدة"¹.

أمّا الأغاني والأناشيد فلها تأثيرا كبيرا على أسماع الأطفال فيحفظونها عن ظهر قلب من المدرسة وعن طريق الأولياء والأسرة التربوية، كما يردّدونها صباح مساء في الساعات وفي المناسبات الخاصة والعامة كشكل فني يستنطق مكبوتاتهم ويهيجهم ويجعلهم في أسعد اللحظات، وهم يتغنّون جماعات وأفرادا. والتشديد ينمّي قدرات الأطفال على الإلقاء واستعمال الأصوات وتوظيفها بطريقة صحيحة، كما يُهيئهم للتعبير عن النفس والمقدرة على الحفظ والتذكّر، إضافة إلى ما يحمله النشيد من موضوعات تربوية وتعليمية مؤثرة على نفوسهم.

11-5 أنشطة السينما والتلفزيون:

تعتبر السينما من الوسائل الفنية الحديثة التي اغتازت عن بقية الفنون الأخرى لما تشتمل عليه من خصائص فنية مؤثرة على المشاهدين ببلاغة صورتها التعبيرية التي يقوم بتشكيلها وصنعها طاقم فني كامل، "والأفلام السينمائية سواء كانت روائية أو تسجيلية، وسواء أقام بالتمثيل فيها أطفال صغار أم فنانون كبار، أوكانت بالعرائس أو الكرتون أو غير ذلك؛ يُمكنها أن تزجي لعالم الطفولة خدمات تعليمية وترفيهية وثقافية لا حصر لها..."²، والسينما تحمل بين طيّاتها كلّ ما ذكرناه عن الأشكال الفنية السابقة، فهي تجمع بين مختلف الفنون بطريقة تسلسلية وسردية عبر تقنيات المونتاج والقص واللصق ودمج الأصوات والموسيقى وأساليب الأداء والتمثيل، كما تعبّر السينما عبر فنياتها وتقنياتها عن كلّ الموضوعات ومن ذلك المخصصة للأطفال والتي تُكتب كسيناريوهات خاصة بهذه الفئة لتقدّم لهم على شكل إنمي أو كرتون.

والتلفزيون يؤثر على الأطفال تأثيرا قويا، وعلى هذا الأساس وجب استغلاله في ميدان التربية والتعليم، وقد بيّنت الدراسات أنه لم تستغل أداة أو وسيلة في جذب انتباه المتدربين مثل التلفزيون لأنه يمتاز بالفورية، الشيء الذي يعمق واقعيته. لقد أصبحت الوسائل الفنية في الفترة المعاصرة تتشرب كثيرا من التكنولوجيا وحداتها، ومع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي وكثرة الهواتف الذكية والألواح والتدفق السريع لشبكة الأنترنت؛ أضحي الأطفال في غنى عن السينما والتلفزيون، وأخذت هذه الوسائل عقولهم وأجسادهم، فأصبحت نقمة عليهم بعد

عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص 13.¹

أحمد نجيب، أدب الأطفال، ص 92.²

أن كانت نعمة؛ إلا من تُوبع من طرف الأسرة التربوية والأولياء وتمت مرافقته بتأني لكي يستعمل هذه الآليات بطرق إيجابية تثقيفية وتعليمية ومن أجل رفع المعنويات والمستوى الدراسي.

12 الخلاصة:

- إنّ مجالات مادة التربية الفنية ونشاطاتها عديدة وذات أشكال مختلفة وقد رأينا منها الجانب النصّي الكتابي الذي يعتمد على التلقين الشفهي والصوتي مثل القصص والشعر والإنشاد، ولطالما أحبّ الأطفال هذه الطرق التعليمية لما فيها من تشويق ومتعة وتنوير لخيالاتهم وتوسيع نطاقه من خلال ما يسمعون من خوارق وبطولات تاريخية وقصص أسطورية هادفة وذات قيم وفضائل.
- إنّ الطفل هو مستقبل الأمة؛ وجيلها الواعد وقاعدة المجتمع، وقد كان لزاما علينا أن نقوم بتكوينه وإرشاده وإعداده على جميع الأصعدة؛ نفسيا واجتماعيا وتربويا وتعليميا، حيث لا يتحقق هذا إلا بمرافقته في طفولته المبكرة وفي دور الحضانة والمدرسة بكلّ المناهج والمواد التي تصقل كيانه، وتبني شخصيته، وتطوّر مهاراته وسلوكياته. ومن بين أهمّ المجالات التي رآها الدارسون أصحاب علم النفس والاجتماع تؤدي هذه الوظيفة؛ ميدان التربية الفنية بمختلف أشكاله وتحليلاته ومظاهرها الفنية، ودلالاتها التعبيرية، وتأثيراتها البليغة على نفوس الأطفال وأذهانهم.
- والفنون بأساليبها التعبيرية، وأدواتها وتقنياتها الجمالية تلعب أدوارا كثيرة في المجتمع بما تحوزه من تأثير وتشويق، ومتعة وانفعالات ومشاعر وأحاسيس وخيالات وإبداعات، ولذلك كان أمر العناية بالأطفال روحيا ووجدانيا هو أبلغ الغايات رفعة؛ وأسمها توجّها، خاصة عندما توظّف هذه الأشكال الفنية من أجل أهداف نبيلة وتعاليم وقيم جليّة.
- إنّ فنون وآداب الأطفال ترسم لنا معالم الطريق لتأصيل القيم وحفظها في أذهان أطفالنا، فهي تساعد على توكيد العادات والسلوكات السليمة التي يستقيم لها أمر المجتمع، كما أنّ أدب الطفل هو مستقبل الطفل الذي يحمي هوية الأمة من التيه والضياح في برائن الجهل.